مواقف العلماء
أمام الحكام والولاة

الناشر

دار العلم والثقافة

٦١ شارع الشيخ محمد النادى - المنطقة السادسة - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٨٢٥٢ فاكس : ٢٧٥٨٢٥١ ص. ب : ٧٦

رقم الإيداع

٢٠٠٢/١٧٧١

الترقيم الدولى

977 - 5829 - 28 - 3

صفحات من تاريخ التقارب
بين الدعاة والحكام

مواقف العلماء أمام الحكام والولاة

للدكتور
عبد الرحمن عميرة

الناشر
دار العلم والثقافة

قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٤١) ﴾

[الحج : ٤١]

الحاكم فى منهج الإسلام

الحاكم فى الإسلام رجل يؤمن بالله، ويغرس الإيمان فى المجتمع هذا الحاكم: يؤمن بأن الإسلام عقيدة فى القلب، وقانون فى الحكم ، وقواعد فى الأخلاق، ونظام فى المجتمع، ورباط بين أتباعه .

والمجتمع فى الإسلام لا تفترق فيه السياسة عن الصلاة، ولا العمل عن العبادة.

مجتمع تتحول فيه الدنيا من غابة الشهوات، إلى واحة العباد، ومن صراع الشياطين إلى تعاطف المؤمنين.

مجتمع يتزياً بكسوة الجندية فهو دائماً فى حرب، أو على أهبة حرب ، حتى لا تحتل بلاده أو يزل أتباعه.

إن حكام المسلمين يجب أن يكونوا من الرجال الأقوياء أقوياء فى أرواحهم فلا تغرهم الدنيا، ولا يحرصون على حطامها الفانى.

أقوياء فى عقولهم حتى لا يلقوا ببلادهم ومصائرهم فى قبضة الأعداء ، نتيجة لطفرة فى الرأى أو عجالة فى إصدار الأحكام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

سؤل يطرحه اللبيب الفطن على نفسه، لماذا لا ينتصر الإسلام اليوم كما كان ينتصر بالأمس ؟

ولماذا لا يقوم أتباعه بدور الريادة والقيادة فى العالم كما فعل أجدادهم وآباؤهم عند ظهوره ؟

أهناك شيء طرأ عليه فغير مفاهيمه فلم تعد تعمل ؟ أو انتقص من أركانه فلم يعد يتقدم ؟

الله يعلم أن شيئًا من ذلك لم يكن، فكتابه الذى بين أيدينا الآن هو كتابه من يوم أن أنزله الله على الرسول ﷺ.

وإذا كان ذلك كذلك فما العلة فى ضعف المسلمين وابتعادهم عن دور القيادة ومراكز التوجيه ؟

وللإجابة على ذلك نقول:

إن الراصد لحركات المسلمين من عدة قرون يرى أن الكثير منهم قد تفلت من تعاليم دينه، وابتعد عن هدى نبيه وترك نور إسلامه، فلفهم ظلام شامل لا يدرى أحد كيف الخروج منه أو الخلاص من ثقله .

فالذى ينقص الإسلام الآن هم الرجال.. الرجال الذين يؤمنون به

كعقيدة تحكم تصرفاتهم، وتضبط سلوكياتهم، ويحكمونه فى شئونهم الخاصة والعامة ويجعلونه دستور الدساتير فى شرعهم، ومصدر القوانين فى حكمهم.

لو وجد هؤلاء الرجال لأعادوا للإسلام مجده وللمسلمين عزهم وسلطانهم.. ولكن أين هؤلاء الرجال ؟ رجال الإسلام..؟

ونتساءل لقد كان رجال الإسلام يملؤن الساحة، فلماذا فرغت منهم، وكان صوتهم يدوِّى فى جنبات الأرض، فلماذا لم يعد العالم يسمع لهم صوتًا، أو يرى لهم فعلاً ؟

الحقيقة التى لا ينكرها أحد من المنصفين والراصدين لخطوات التاريخ فى عصرنا الراهن، أن الدعاة للحركات الإسلامية فى كثير من البلاد نزل بهم من البلاء ما لو نزل بالجبال الشم لدكت أركانه وتساقط بنيانه.

ونقول: هذا الذى حدث فى هذا العصر، حدث لكل الدعاة السابقين فى كل عصر ومصر، ولم يسلم من ذلك الرسل والأنبياء ولا المخلصون وأصحاب الدعوات.. وكأن هذا ضريبة الإيمان، أو أن الله سبحانه وتعالى قد جعل هؤلاء الجبارين والطغاة أداة تعذيب وتنكيل لأتباع دينه والمخلصين من أبناء الإنسانية لحكمة قد تغيب عن عقولنا، أو ليختبر صبرهم ويبلو إيمانهم حتى يتميز من يدعى الإيمان بلسانه، ومن هو على الحق واليقين بقلبه.

قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم

مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٤]

نعم إن النصر فى النهاية يكون للمؤمنين وللعباد المخلصين، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]

ونقول: إن حوارًا دائمًا، بل صراعًا مستمرًا ظل بين العالم والحاكم، ما كان هناك علماء وحكماء، وهذا الصراع أو الحوار يكون ذا فائدة للأمة إذا أطاع الحاكم العالم، ويكون الحوار ساخنًا مدمرًا إذا خالف الحاكم العالم.

وفى الحالة الثالثة يكون الدمار للأمة ومعنوياتها إذا ما خضع العالم لتوجيهات الحاكم، فغض الطرف وأغمض العين، أو استطاع الحاكم أن يحتوى العالم أو يقنعه بسياسيته للحكم والدولة.

ونحن فى هذا الكتاب نقدم صورًا للحالات الثلاث، عبر تاريخ الأمة الإسلامية. لنأخذ من ذلك العبر والعظات، ونضع أيدينا على عوامل تخلف الأمة وانهزامها فكريًا، واقتصاديًا، وسياسيًا، وحربيًا، وفى شتى المجالات الأخرى.

وبالله التوفيق ،،،

أ.د. عبدالرحمن عميرة

من هدى النبوة
العالم والحاكم
وطريق الدعوة إلى الله

روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن مهيب بن سنان أن رسول الله ﷺ قال:

قد كان فيمن قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إنى كبر سنى، وحضر أجلى فادفع إلىَّ غلامًا لأعلمه السحر.

فدفع إليه غلامًا - فيه نجابه وذكاء - ليعلمه السحر وكان بين الساحر، وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه كلامه.

وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك..؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك..؟

فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسنى أهلى، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسنى الساحر.

قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يمروا.

فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر.

قال: فأخذ حجرًا فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمر الناس. ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب فقال:

« أى بنى أنت أفضل منى وأنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علىَّ. فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص، وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفنى ولك ما ههنا أجمع..؟؟

فقال: ما أنا أشفى أحدًا إنما يشفى الله عز وجل، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه.

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك:

« يا فلان من رد عليك بصرك.. ؟ »

فقال: ربى.

فقال: أنا.

قال: لا، ربى وربك الله.

قال: ولك رب غيرى ؟

قال: نعم.. ربى وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فبعث إليه.

فقال: أى بنى من سحرك أن تبرىء الأكمه والأبرص وهذه الأدواء .. ؟؟

قال: ما أشفى أحدًا، إنما يشفى الله عز وجل.

قال: أنا.

قال: لا.

قال: أولك رب غيرى.. ؟؟

قال: ربى وربك الله، فأخذه أيضًا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب، فقال ارجع عن دينك فأبى.. فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض.

وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال:

« اللهم اكفينيهم بما شئت »

فرجف بهم الجبل فدهدهو أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك.. ؟

فقال: كفانيهم الله تعالى. فبعث به مع نفر فى قرقور فقال: إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه فى البحر. فلججوا به البحر فقال الغلام اللهم أكفينيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون.

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك.. ؟

فقال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت تستطيع قتلى.

قال: وما هو.. ؟

قال: تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع وتأخذ سهمًا من كنانتى، ثم قل: باسم الله رب الغلام فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى ففعل ووضع السهم فى كبد قوسه ثم رماه وقال:

« باسم الله رب الغلام، فوقع السهم فى صدعه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات.

فقال الناس: آمنا برب الغلام.

فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر..؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم.. فأمر بأفواه السكك، فخدت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فاقتحموه فيها.

قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع فى النار فقال الصبى:

« اصبرى يا أماه فإنك على الحق ».[1]

وإلى هذا أشار الله بقوله تعالى:

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾[2]

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم وأحمد بن حنبل فى المسند وأخرجه الترمذى بمعناه .

(٢) سورة البروج الآيات من ٤ إلى ٩ .

إن هذا الغلام الداعية عرف الأسلوب الطبيعى الذى به تنتشر دعوته وتصل عن طريقه بإذن الله - إلى دنيا الناس.

فأخذ يظهر آيات الله البينات التى يجريها على يديه ويطالب المجتمع الذى يعيش فيه الإيمان بها.

ووصلت إلى مسامع الملك الذى يدعى الألوهية - دعوة الغلام وأن الناس يتابعونه فيما يدعوهم إليه وألقت حاشيته والمحيطون به فى روع الملك أن قوائم ملكه تهتز من تحته نتيجه لهذا الذى يقول به الغلام ويبشر به..؟

فكان لابد من التنكيل به حفاظًا على الملك - مرة بمحاولة ترديه من فوق جبل مرتفع وأخرى بمحاولة إزهاق روحه عن طريق البحر، ولقد باءت هذه المحاولات بالفشل، وهكذا كل محاولة يدبرها الباطل أو يوسوس بها الشيطان.

عندها أراد الغلام أن تبلغ دعوته إلى الناس أجمعين، ورأى أنه لن يتحقق ذلك إلا عن طريق الملك وجنوده، فطلب من الملك: إن كان يريد القضاء عليه وتخليص مملكته منه، فما عليه إلا أن يجمع الناس فى صعيد واحد حتى يشاهدوا قتل الغلام.

وكان الداعية يريد بذلك أن تبلغ دعوته للناس أجمعين ويشاهدوا عن قرب يد القدرة الخالقة وهى تعمل حتى ولو كان فى ذلك إزهاق روحه وبلوغ أجله. والداعية يعلم أن لكل أجل كتاب قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾[1]

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٥ .

واستطاع الغلام الداعية عن طريق أعداء الله وأعداء دينه أن يبلِّغ رسالة ربه، ثم يموت قرير العين مطمئن إلى عدالة ربه.

وهكذا يجب أن يكون الدعاة الذين يحبون عقيدتهم، ويريدون نشر دعوتهم ورفع كلمة الله بين عُبَّاد الطواغيت وسدنة الأصنام.

وإذا كان هذا حدث مع الدعاة قبل الإسلام، فإن دعاة الإسلام نالوا من التعذيب والتنكيل أضعاف ما نال غيرهم من أتباع الديانات والدعوات الأخرى.

ونكتفى فى هذا المقام بتسجيل المحاورة التى تمت بين التابعى سعيد ابن جبير وأحد قادة بنى أمية الحجاج بن يوسف.

الحجاج الثقفى وسعيد بن جبير
(رضى الله عنه)

صمم الحجاج[1] على قتل سعيد بن جبير[2] لكشفه الطغاة وتعريته

(١) هو الحجاج بن يوسف ، قائد داهية ، سفاك خطيب ولد عام ٤٠ هـ قلده عبد الملك ابن مروان قيادة الجيش وأمره بقتال عبد الله بن الزبير فقتله فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليه العراق وأخباره كثيرة مات بواسط عام ٩٥ هـ [راجع تهذيب التهذيب لابن عساكر ٤ : ٨٤]

(٢) هو سعيد بن جبير أبو عبد الله تابعى كان أعلمهم على الإطلاق . أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث لحرب عبد الملك بن مروان كان سعيد معه . فلما انهزم عبد الرحمن قبض عليه الحجاج وقتله عام ٩٥ [راجع وفيات الأعيان ١ : ٢٠٤ وطبقات ابن سعد ٦ : ١٧٨]

أتباع الشيطان فأرسل إليه من أحضـره فلما مثل بين يديه سأله الحجاج عن اسمه.

قال: سعيد بن جبير.

قال الحجاج: بل أنت شقى بن كسير.

قال سعيد: بل كانت أمى أعلم باسمى منك.

قال الحجاج: شقيت أنت وشقيت أمك.

قال سعيد: الغيب يعلمه الله.

قال الحجاج: لأ بدلنك بالدنيا ناراً تلظى.

قال سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا.

قال الحجاج: فما قولك فى محمد..؟

قال: نبى الرحمة وإمام الهدى صلى الله عليه وسلم.

قال الحجاج: فما بالك لم تضحك..؟

قـال سـعـيد: وكـيف يضـحك مـخلوك من طـين والطين تأكله النار ..؟

قال الحجاج: فما لنا نضحك..؟

قال سعيد: لم تستو القلوب.

وفكر الحجـاج بطريقة أخرى لاستـمالته وإذلاله.. فـأمر بالذهب والمال واللؤلؤ والياقوت فجمع بين يديه.

ولكن أنى لهذه المغريات أن تجد لها طريقًا إلى قلب شغله حب الله وزهد عن الدنيا وما فيها.

فقال سعيد: إن كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة فقد أخطأت وإن فزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير فى شىء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا. فأمر الحجاج بالموسيقى فصدحت ونفخ فى الناى، وضرب بالعود، فبكى سعيد فقال له الحجاج: ما يبكيك.. أهو اللهو..؟

قال سعيد: بل هو الحزن، أما النفخ فذكرنى يومًا عظيمًا: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾[1] وأما العود فشجرة قطعت فى غير حق، وأما الأوتار فإنها أمعاء الشياه يبعث بها معك يوم القيامة.

فقال الحجاج: ويلك يا سعيد.

فقال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

قال الحجاج: اختر يا سعيد أى قتلة تريد أن أقتلك.

قال سعيد: بل اختر لنفسك يا حجاج فوالله ما تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها يوم القيامة.

قال الحجاج: أفتريد أن أعفو عنك..؟

قال سعيد: إن كان العفو فمن الله.. وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه.

فلما خرجوا به من الباب ضحك فأخذ الحجاج بذلك فأمر برده وقال له:

---

(١) سورة النبأ آية ١٨

ما أضحكك..؟

قال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك.

قال الحجاج: اقتلوه.

قال سعيد: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١)

قال الحجاج: شدوا به لغير القبلة.

قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(٢)

قال الحجاج: كبوه لوجهه.

قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾(٣)

قال الحجاج: اذبحوه..؟

قال سعيد: أما أنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله خذها منى حتى تلقانى يوم القيامة.

ثم دعا سعيد الله قائلاً:

« اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى »

يقول الرواة وكتاب التاريخ

عاش الحجاج بعده خمس عشر ليلة ثم مات.

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٩

(٢) سورة البقرة آية رقم ١١٥

(٣) سورة طه آية ٥٥

فهل لدينا دعـاة فى القرن العشـرين أمثال هؤلاء. .؟ إن كـان فإن نصر الله قريب، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

وإذا كانت الأخـرى. . فعلى عاتق علمـاء المسلمين والمخلصين من أبنائه: أن يعدو العدة لتخريج هؤلاء الرجال. . من مدرسة القرآن فهل نحن فاعلون. .؟

نرجو من الله ذلك. .

سماحة حاكم
وتعفف عالم

كان أبو بكر المحلى يتولى نفقات أبى المسك كافور[1] الأخشيدى حاكم مصر. وكان له فى كل عيد أضحى عادة هى أن يسلم إلى أبى بكر بغلاً محملاً ذهبًا وصحيفة تتضمن أسماء قوم - يرى أنهم فى حاجة إلى المساعدة المادية من قبل الدولة.

يقول أبو بكر: وكان يمشى معى صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل، وأطوف من بعد العشاء الأخيرة إلى آخر الليل، حتى أسلم ذلك إلى من تضمنت إسمه الصحيفة، فأطرق منزل كل إنسان ما بين

(١) كافور بن عبد الله الأخشيدى أبو الملك الأمير المشهور ، صاحب المتنبى . كان عبدًا اشتراه الأخشيد ملك مصر سنة ٣١٢ هـ وكان فطنًا ذكيًا حسن السياسة أخباره كثيرة . تولى إمارة مصر مدة عشرين عامًا قام فى أكثرها بتدبير المملكة فى ولاية أبى القاسم ثم أبى الحسين ابنى الأخشيدى وتولاه مستقلاً سنتين وأربعة شهور وكان يدعى له على المنابر بمكة ومصر والشام توفى بالقاهرة عام ٣٥٧ هـ ودفن بالقدس . وكان وزيره ابن الفرات قال الذهبى كان عجبًا فى العقل والشجاعة . [راجع دول الإسلام ١ : ١٧٣]